من حكايات الشعوب



حكاية عربية (السودان)

# الصديق الحقيقي

١٧

من حكايات الشعوب
حكاية عربية (السودان)

يرويها ..... عبد التواب يوسف
رسوم ..... حسان علي أحمد




# الصديق الحقيقي

دار الفتى العربي

ذاتَ مساءٍ ، جلس أطفالٌ سُمْرٌ فوق العَنْجَرِيبِ* ، وقالوا : « نريدُ حكايةً يا حَبُّوبةُ ». فضحكت الجدّةُ التي يُسمُّونها دائمًا حَبُّوبةً، وسألتْهم: «هل تريدونها عن حيواناتِ الغابةِ في الجنوبِ؟ أمْ من أرضِ الصمغِ العربيِّ في دارْفورَ وكرْدُفَانَ في الغربِ؟أم من النُّوبةِ في الشمالِ؟ أم من الشرقِ حيثُ ضفافُ النيلِ الأزرق، أوْ مِن ساحلِ البحرِ الأحمرِ؟».

هتفَ واحدٌ من الأطفالِ: «نريدُ حكايةً عن وَدِ النُّمَيْرِ» .

* * *

قالت حبُّوبةُ ...

كان للسلطانِ ابنِ النُّمَيْرِ ولدٌ ذكيٌّ، كثيرُ الأسئلةِ. وكانت أسعدُ لحظاتِ السلطانِ تلك التي يجلسُ فيها مع ابنِه، وأمتعُ أوقاتِ الابنِ هي التي يقضيهامع أبيه؛ يتبادلان الحديثَ ؛

---

**العنجريب** :السرير الذي يصنعه السودانيون مكونا من أربعة قوائم من خشب الطلح، و«مُلّة» من الحبال وجريد النخيل.

الأبُ يروي، ويقصُّ الكثيرَ عن بطولاتِ جُنده. ويُسْحَرُ الابنُ بالحديثِ، وقد تهتزُّ مشاعرُه لحادثةٍ، أو موقفٍ رائعٍ لأبيه؛ فيقومُ ليعانقَه؛ وهو يهتفُ:«ماأروعَكَ يا أبي! ما أعظمَكَ!».

وكان الابنُ يضيقُ كثيراً؛إذا قطع عليه أحدٌ هذه الجلسات الممتعةَ. ولكنَّ والدَه لَدَيْه أعباءٌ كثيرةٌ، فكانَ الابنُ ينصرفُ في غيظٍ؛ وينصحُه الأبُ دائمًا: «يجبُ أنْ يكونَ لكَ أصدقاؤكَ».

وسأله الابنُ يومًا: «كيف أختارُ صديقي الحقيقيَّ؛ ياأبي؟». فقال أبوه: «هناك اختبارٌ طريفٌ: ادْعُ مَنْ تظنُّ أنه يصلحُ صديقًا إلى طعامِ الإفطارِ؛ وأخِّرْ تقديمَ الطعامِ إليه. وخلالَ ذلك؛ اسلُقْ ثلاثَ بيضاتٍ، ثم قدِّمْها لضيفكَ؛ لترَى كيف يتصرَّفُ».

بدأ الابنُ يجرِّبُ هذا الاختبارَ الطريفَ.

وكان مِن بينِ أصحابِ ابنِ السلطان ـ وَدُّ النمير ـ ابنُ الوزيرِ الذي يشعرُ أنه ولدٌ

مخلصٌ وطيِّبٌ.رغبَ في أن يمتحنَه؛ فدعاه إلى طَعامِ الإفطارِ. انتظَرَ ابنُ الوزيرِ في هُدُوء؛ حتّى جاء الطَبقُ وفيه البيضاتُ الثلاثُ؛ فنظر إليها في دهشةٍ، وقال: «هل هذا هو كلُّ إفطارِنا؟». قال ابنُ السلطانِ: «نعم!».

ـ «إنه لا يكفيني وحدي!».

وغادر البيتَ؛ غيرَ مأسوفٍ عليه؛ فقد أثبَتَ أنه غيرُ قنوعٍ، ولا يستحقُّ أن يكونَ صديقًا.

دعا ابنُ السلطانِ ابنَ قاضي القضاة، وأحضر البيضاتِ الثلاثَ، وجلسا معًا حولَ المائدة ليأكلا. امتدَّت يدُ ابنِ قاضي القضاة، وأخذَ بيضةً وراح يقشِّرُها. وكذلك؛ فعل ابنُ السلطانِ، وبقِيَت بيضةٌ واحدةٌ. وبعد أن أكل كلٌّ منهما بيضتَه؛ امتدَّت يدُ ابنِ قاضي القضاة إلى البيضة المتبقِّية، وقدَّمها إلى ابنِ السلطانِ، وراح يُلِحُّ عليه أن يأكلَها. ولكنَّ ابنَ السلطانِ حاولَ أنْ يقنعَه بتناولِها. وأصرَّ



ابنُ القاضي على موقفِه.

وعندما ترك ابنُ قاضي القضاةِ القصرَ، وجلس وَدُّ النميرِ مع ولدِه؛ سأله:«هلَ نجح ابنُ قاضي القضاةِ في الامتحانِ؟».أجاب الابنُ: «لا!».فدهش الأبُ، وسأله:«ألم يُفضِّلك علَى نفسِه؟». قال الابنُ: «لقد حاول أن يُفهِمَني ذلكَ، ولكنه أثبت بهذا أنه ليس صديقًا حقيقيًا». قال الأبُ: «كيف هذا؟». فأجاب الابنُ: «إنه مُجامِلٌ؛ منافِقٌ.هل يفضِّلني فعلاً على نفسَه؟ إنه جائعٌ مثلي تمامًا؛فلماذا يحرم نفسَه من البيضة المتبقِّية ليعطيني إيَّاها؟».

فابتَسم الأبُ مُعجَبًا بأفكارِ ابنِه، وطريقتِه في فهمِ الأمورِ.

وجاء الدَّوْرُ على ابنِ كبيرِ التجَّارِ.

كان سعيدًا بدعوةِ ابنِ السلطانِ له؛ فلم يأكلْ عشاءَه في الليلةِ السابقةِ. وفي الصباحِ الباكرِ؛ ذهب إلى ابنِ السلطانِ، وانتظر، وطال الانتظارُ.

وأخيراً؛حمل إليه ابنُ السلطانِ الطبقَ وفيه البيضاتُ الثلاثُ. وتركه لحظةً ليأتي بالخبزِ، وعاد ليجدَه قد أتى على البيضاتِ الثلاث. التهَمها في لمحِ البصرِ، ولم يُبْقِ منهَا شيئًا لابنِ السلطانِ الذي دهش دهشةً كبيرةً، ولم يَسْتَطِعْ إلا أنْ يعبِّرَ عن ضيقِه؛ قائلاً: «هل أكلتَ كلَّ البيضِ؟».

ـ «كلَّ البيضِ؟ إنها ثلاثٌ لا أكثرَ!».

ـ «ليس هناك غيرُها» .

ـ «أهذا معقولٌ؟» .

ـ «صدِّقْني..ألم يكُنْ مِن الواجبِ أن تتركَ لي؛ ولو واحدةً؟» .

ـ «لم أتصوَّرْ أبداً أن يكونَ هذا هو كلُّ ما ستقدِّمونه لي!» .

ـ «ثم..أليس من الواجبِ أن تنتظرَني؟».

ـ «لقد انتظرتُ طويلاً،وعضَّني الجوعُ».

ـ «هل أنتَ غاضبٌ ياصديقي؟».

ـ «لستُ غاضبًا،ولستُ أيضًا..!».





سكت ابنُ السلطانِ، ولم يكملْ عبارته، وبالطبعِ؛ لم يعُد ابنُ كبيرِ التجارِ صديقًا له.

ضاق ابنُ السلطانِ بكلِّ الأولادِ من حولِه . إنهم جميعًا لا ينجحون في الاختبارِ، وليسوا جديرين بصداقته. لذلك؛ انصرَف عنهم للبحثِ عن الصديقِ في مكانٍ آخرَ.

وانطلق إلى الحقولِ والغاباتِ؛ لعلَّه يلتقي واحداً يكونُ هو صديقَه الحقيقيُّ. فتعرَّف ذاتَ يومٍ على ولدٍ يرتدي ملابسَ بسيطةً،وتبدوعليه علاماتُ الفقرِ. سأله ابنُ السلطانِ: «مَنْ أنت؟».

ـ «أنا ابنُ الحطَّابِ».

ـ «هل تلعبُ معي وتصادقُني؟».

ـ «لا أظنُّ أننا نصلحُ أصدقاءَ ؛ فما أنا إلا ولدٌ مسكينٌ فقيرٌ، وأنتَ ابنُ السلطانِ».

ـ «لماذا لا نجرِّبُ».

ـ «لامانعَ عندي؛ بشرطِ أن تفهمَ أننا متساويان في كلِّ شيءٍ» .

ـ «ماذا تقصدُ؟».

ـ «لستَ أفضلَ مِنِّي في شيءٍ!».

وافق ابنُ السلطانِ على شرطِ ابنِ الحطابِ، وبدأ يلعبُ معه. خرجا معًا للصيدِ، وتعلَّم منه ابنُ السلطانِ كيف يستخدمُ النبلَ،وكيف يقاتلُ الحيوانات المفترسةَ، وكيف يتسلَّقُ أشجارَ الغابةِ وقضَى معه وقتًا جميلاً رائعًا؛ عاد بعدَه إلى البيت؛ وقد تسلَّخت يداه وجُرِحت قدماه وتمزَّقت ملابسُه،لكنه شعر أن هذا اليومَ أمتعُ أيامِ عمرِه. وكان ابنُ الحطاب يناديه باسمه ويُلقي إليه ببعضِ الأوامرِ،كما أنه كان يرفضُ تنفيذَ الكثيرِ من مطالبِه. ومع ذلك؛ فقد أحسَّ بأنه ذكيٌّ، وطيِّبٌ،وقلبُه كبيرٌ.

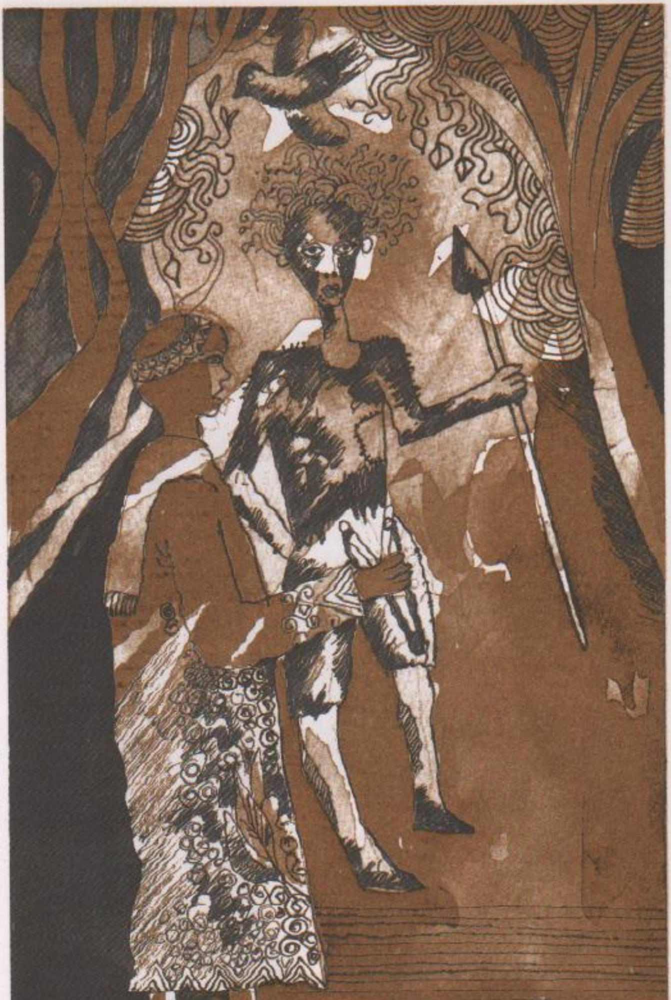
التقَى ابنُ السلطانِ ابنَ الحطابِ في اليومِ التالي، وكان في نيَّتِه أن يختبرَه؛ كما اختبرَ الآخرين. ولكنَّ ابنَ الحطابِ سارع يدعوه إلى الإفطارِ معه في كوخِه؛ حيث تناولا طعامًا بسيطًا؛ يتكوَّنُ من الخبزِ والملحِ. وقد أكل ابنُ

السلطانِ بشهيَّةٍ، وحمدالله. وانطلقا معًا لمغامرةٍ جديدةٍ؛ يتعلَّمُ فيها ابنُ السلطانِ شيئًا لم يعرفْه مِن قبل. واستمتعا بوقتٍ طيِّبٍ، وافترقا على وعدٍ مِن ابنِ الحطابِ بأَنْ يزورَ صاحبَه في قصرِه صباحَ الغدِ؛ لكي يتناولا طعامَ الإفطارِ معًا. وعلى مائدةِ الإفطارِ كان الطبقُ، وبه البيضاتُ الثلاثُ. امتدَّتْ يدُ ابنِ الحطابِ إلى واحدةٍ منها؛ قشَّرها لنفسه؛ في حين كان ابنُ السلطانِ يقشِّرُ بيضةً ويأكلُها. وأخذ ابنُ الحطابِ البيضةَ الثالثةَ وقشَّرها،

ثم أخرَج مِطْواتَه الصغيرةَ من جيبِه،وقطع بها البيضةَ إلى جزءَيْن متساويَيْن؛ فأخذ لنفسه نصفًا، وأعطى الآخرَ لابنِ السلطانِ الذي قام يعانقُه، ويهتفُ قائلاً: «نعم..أنت صديقي الحقيقيُّ!» .

وذهب ابنُ السلطانِ إلى والده؛يبشِّرُه بأنه عثر أخيراً على الصديقِ الحقيقيِّ .

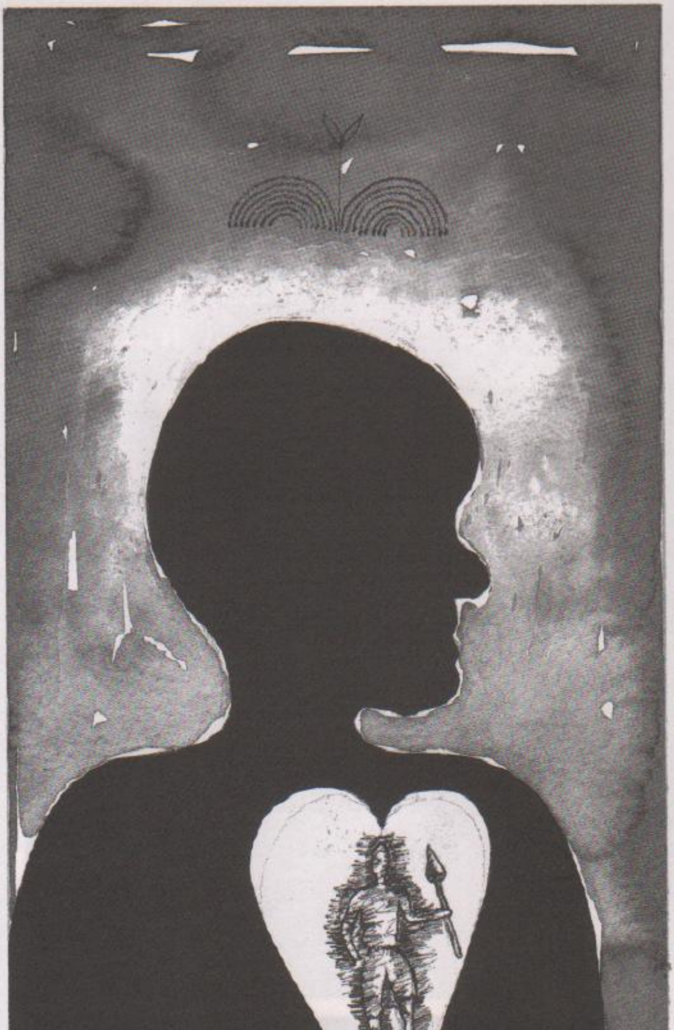
وكبِر الولدان، وكبِرت الصداقةُ بينهما،



واستمرّت والزمنُ يزيدُها قوةً على قوةٍ. وعندما رحل السلطانُ وَدُّ النميرِ عن الدنيا تاركًا أمورَ الحُكمِ لولدِه؛ اختار السلطانُ الجديدُ ابنَ الحطابِ وزيراً له.

* * *

صفّق الأطفالُ السُّمْرُ للحكايةِ التي روتْها حبوبةُ، واهتزَّ العنجريبُ تحت أقدامِهم، ولم يهدأوا حتى وعدتْهم حبوبةُ بحكايةٍ جديدةٍ .



# عن السودان

**الموقع:** يقع في شمال شرقِ إفريقية، يحده من الشمال مصر، ومن الشمال الغربي ليبيا، ومن الشرق البحر الأحمر وإثيوبيا، ومن الجنوب كينيا وأوغندة وزائير، ومن الغرب جمهورية إفريقية الوسطى وتشاد .



**المساحة:** ٢,٥٠٦,٠٠٠ كم. وهي تعادل ربع مساحة أوربة بأكملها. **السكان:** نحو ٢٠ مليون نسمة .

**العاصمة:** الخرطوم .

**أهم الثروات الطبيعية:** القطن، والصمغ الذي ينتج منه ثلاثة أرباع احتياجات العالم.وفيه ما يزيد على عشرة ملايين رأس من الماعز والأغنام والإبل والبقر.وهو غني بالعاج والأخشاب الثمينة.

وقد نال **استقلاله** عن بريطانيا في يناير ١٩٥٦.

# من حكايات الشعوب

**مجموعة منتقاة من قصص الشعوب نتعرف من خلالها جانبًا من التراث الإنساني الشعبي، وأجمل القصص التي ابتكرها خيال الإنسان. هذا بالإضافة إلى معلومات عن البلد مصدر الحكاية، وموقعه من خريطة العالم .**

دار الفتى العربي للنشر والتوزيع
كورنيش المزرعة . بناية الترك . تلفون ٣٠٤١١٠ . العنوان البرقي : دافتنشر . بيروت . لبنان

